

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن ما لأهم على نصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم { هم الذين كفروا } أي هم الكفار دون غيرهم { وصدوكم عن المسجد الحرام } أي أنتم أحق به وأنتم أهل به في نفس الأمر { والهدي معكوبا أن يبلغ محله } أي صدوا الهدى أن يصل وهذا من بغيتهم وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقوله D : { ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات } أي بين أظهرهم ممن يكتنن إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكننا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى : { لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة } أي إثم وغرامة { بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء } أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى الإسلام ثم قال تبارك وتعالى : { لو تزيلوا } أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم { لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما } أي لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلًا ذريعًا .

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو الزباع روح بن الفرخ حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد مولى بني هاشم حدثنا حجر بن خلف قال : سمعت عبد الله بن عوف يقول : سمعت جنيد بن سبيع يقول : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفيما نزلت { ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات } قال : كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكي به وقال فيه عن أبي جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب بن سباع ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر بن خلف به : قال : كنا ثلاثة رجال وتسعة نساء وفيما نزلت { ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات } وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس Bهما في قوله تعالى : { لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما } يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلهم إياهم . وقوله D : { إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية } وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله { فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى } وهي قول [لا إله إلا الله] كما قال ابن جرير وعبد الله بن الإمام أحمد حدثنا الحسن بن قرعة أبو علي البصري حدثنا سفيان

بن حبيب حدثنا شعبه عن ثور عن أبيه عن الطفيل يعني ابن أبي بن كعب عن أبيه B أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [وألزمهم كلمة التقوى] قال [لا إله إلا الله] وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة B أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله] وأنزل الله في كتابه وذكر قوما فقال : { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون } وقال الله جل ثناؤه : { وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها } وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري والله أعلم .

وقال مجاهد : كلمة التقوى الإخلاص وقال عطاء بن أبي رباح هي [لا إله إلا الله] وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير [وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور { وألزمهم كلمة التقوى } قال [لا إله إلا الله] وحده لا شريك له] وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي B { وألزمهم كلمة التقوى } قال : [لا إله إلا الله وأكبر] وكذا قال ابن عمر B هما وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كل رأس وهي الله إلا إله لا أن شهادة يقول قال { التقوى كلمة وألزمهم } تعالى قوله هما B تقوى وقال سعيد بن جبير { وألزمهم كلمة التقوى } قال [لا إله إلا الله] والجهاد في سبيله [وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري { وألزمهم كلمة التقوى } قال [بسم الله الرحمن الرحيم] وقال قتادة { وألزمهم كلمة التقوى } قال [لا إله إلا الله] { وكانوا أحق بها وأهلها } كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها { وكان الله بكل شيء عليما } أي هو علیم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر وقد قال النسائي : حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا شعبة بن سوار عن أبي رزين عن عبد الله بن العلاء بن نوير عن بشر بن عبد الله عن أبي إدريس عن أبي بن كعب B أنه كان يقرأ { إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية } ولو حميتكم كما حموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر B فأغلظ له فقال إنك لتعلم أنني كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمني مما علمه الله تعالى فقال عمر B : بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله .

وهذا ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم Bهما قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العود المطافيل قد لبست جلود النمرور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه إلى كراع الغميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام وهم وافرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش فوا] لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة] ثم أمر الناس فسلخوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية الممرار والحديبية من أسفل مكة قال فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قتره الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية الممرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة وإني لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها] .

ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس : [انزلوا] قالوا : يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد A إن محمدا لم يأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحقه فاتهموهم قال محمد بن إسحاق : قال الزهري وكانت خزاعة في عيبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مشركها ومسلمها لا يخفون على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شيئا كان بمكة فقالوا : وإن كان إنما جاء لذلك فوا لا يدخلها أبدا علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [هذا رجل غادر] فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنحو مما تكلم مع أصحابه ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى] فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل

أوباره من طول الحبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاما لما رأى فقال : يا معشر قريش لقد رأيتم ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس على محله قالوا : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك .

فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا معشر قريش إني قد رأيتم ما يلقي منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيتكم بنفسي قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه فقال : يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لنقضها إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وإيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وأبو بكر بن عبد الله بن قيس قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال : امص بظر اللات ونحن ننكشف عنه ؟ قال من هذا يا محمد ؟ قال A : [هذا ابن أبي قحافة] قال : أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها ثم تناول لحية رسول الله ﷺ والمغيرة بن شعبة بن عبد الله بن قيس وأوقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد قال : ففرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصل إليك قال ويحك ما أفضك وأغلظك ! فتبسم رسول الله ﷺ قال : من هذا يا محمد ؟ قال A : [هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة] قال : أغدر وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟ قال : فكلمه رسول الله ﷺ بمثله ما كلم به أصحابه وأخبره بأنه لم يأت يريد حربا قال فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءا إلا ابتدروه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذه فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما والله ما رأيتم ملكا قط مثل محمد A في أصحابه ولقد رأيتم قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم .

قال : وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعتهم الأحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة فقال : يا رسول الله ﷺ إني أخاف قريشا على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز مني بها عثمان بن عفان قال : فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة فخرج عثمان بن عفان حتى أتى مكة فلقه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه أرففه خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان بن عفان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به فقالوا لعثمان بن عفان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ قال : واحتبسته قريش عندها قال : وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفان قد قتل .

قال محمد : فحدثني الزهري أن قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا : ائت محمدا فصالحه ولا تلن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ قال : [قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل] فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلمنا وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب هـ فأتى أبا بكر هـ فقال : يا أبا بكر أوليس برسول الله ﷺ ؟ أولسنا بالمسلمين ؟ أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر هـ : يا عمر الزم غرزه حيث كان فإنني أشهد أنه رسول الله ﷺ فقال عمر هـ : وأنا أشهد ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ أولسنا بالمسلمين ؟ أوليسوا بالمشركين ؟ قال A [بلى] قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال A : [أنا عبد الله ﷻ ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني] ثم قال عمر هـ : ما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعفق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا .

قال : ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب B فقال : اكتب [بسم الله الرحمن الرحيم] فقال سهيل : لا أعرف هذا ولكن اكتب : باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ A : [اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ] فقال له سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله ﷺ لم أقاتلك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ﷺ وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله ﷺ A من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله ﷺ A لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا أسلال ولا أغلال وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد A وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد رسول الله ﷺ A وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم وأنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب .

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ قال وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه ف ضرب وجهه قال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال [صدقت] فقام إليه فأخذ بتلابيه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنونني في ديني قال فزاد الناس شرا إلى ما بهم فقال رسول الله ﷺ [يا أبا جندل اصبر

واحتسب فإن ا [تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم] قال فوثب إليه عمر بن الخطاب هB فجعل يمشي مع أبي جندل ويقول اصبر أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب قال ويدني قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فض الرجل بأبيه قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب وكان رسول ا [A يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول ا [A فقال [يا أيها الناس انحروا واحلقوا] قال : فما قام أحد قال ثم عاد A بمثلها فما قام رجل ثم عاد A بمثلها فما قام رجل فرجع رسول ا [A فدخل على أم سلمة هB فقال [يا أم سلمة ما شأن الناس ؟] قالت : يا رسول ا [قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنسانا واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول ا [A لا يكلم أحدا حتى إذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال : فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي إسحاق بنحوه وفيه إغراب .

وقد رواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به نحوه وخالفه في أشياء وقد رواه البخاري C في صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال في كتاب الشروط من صحيحه : حدثنا عبد ا [بن محمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهم حديث صاحبه قالا : خرج رسول ا [A زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره وبعث عينا له من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطا أتاه عينه فقال : إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك وما نعوذ فقال A : [أشيروا أيها الناس علي أترون أن نميل على عيالهم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟] وفي لفظ : [أترون أن نميل على ذراي هؤلاء الذين أعانوهم فإن يأتونا كان ا [قد قطع عنقا من المشركين وإلا تركناهم محزونين] وفي لفظ [فإن قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وإن نجوا يكن عنقا قطعها ا [D أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه] .

فقال أبو بكر هB : يا رسول ا [خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه وفي لفظ : فقال أبو بكر هB : ا [ورسوله علم إنما جئنا معتمرين ولم نجد لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي A : [فروحوا إذن] وفي لفظ [فامضوا على اسم ا [تعالى] حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي A : [إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوا] ما شعر بهم خالد حتى إذا هم

بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي A حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها برکت به راحلته فقال الناس : جل حل فألحت فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي A : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال A : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرما لا تعالى إلا أعطيتهم إياها [ثم جرحها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثم مد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله العطش فانتزع A من كنانته سهما ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فواء ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه .

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله A من أهل تهامة فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العود المطافيل وهم مقاتلون ومادوك عن البيت فقال النبي A : [إنا لم نجد لقتال أحد ولكن جننا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأصرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جمه وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن أمره] قال بديل : سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جننا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول قال : سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قاله رسول الله A فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم أستم بالوالد ؟ قالوا : بلى قال : أولست بالولد ؟ قالوا : بلى قال : فهل تنهمونني ؟ قالوا : لا قال : أستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتة قالوا : آتته فأتاه فجعل يكلم النبي A فقال النبي A له نحوا من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك : أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرى فإنني وأبى لأرى وجوها وإنني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر B : امص بظر اللات نحن نفر وندعه ؟ قال : من ذا ؟ قالوا أبو بكر قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك قال : وجعل يكلم النبي A فكلما كلمه أخذ بلحيته A والمغيرة بن شعبة B قائم على رأس النبي A ومعه السيف وعليه المغفر وكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي A ضرب يده بنعل السيف وقال : آخر يدك عن لحية رسول الله A فرفع عروة رأسه وقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة قال : أي غدر ألت أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة B صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي A : [أما الإسلام فأقبل وأما المال فليست منه في شيء]

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي A بعينه قال : فوا ! ما تنخم رسول الله A نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له A فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ! وإني لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي وإني إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ومحمداً وإني إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له وإنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها .

فقال رجل منهم من بني كنانة : دعوني آتة فقالوا : آتته فلما أشرف على النبي A وأصحابه واستقبله فبعثت [له فابعثوها البدن يعظمون قوم من وهو فلان هذا] : A النبي قال هم B الناس يلبنون فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعوني آتة فقالوا : آتته فلما أشرف عليهم قال النبي A : [هذا مكرز وهو رجل فاجر] فجعل يكلم النبي A فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر : أخبرني أيوب عن عكرمة أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي A : [قد سهل لكم من أمركم] قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا النبي A بعلي B وقال : [اكتب بسم الله الرحمن الرحيم] فقال سهيل بن عمرو : أما الرحمن فوا ! ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون : وإني لا نكتبها إلا باسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي A [اكتب باسمك اللهم - ثم قال - هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله] فقال سهيل : وإني لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال له النبي A : [وإني لرسول الله] وإن كذبتُموني اكتب محمد بن عبد الله [قال الزهري : وذلك لقوله : [وإني لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله تعالى إلا أعطيتهم إياها] فقال له النبي A : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل : وإني لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل : وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟ .

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تردّه إلي فقال A : [إنا لم نقض الكتاب بعد] قال : فوا ! إذا لا أصلحك على شيء أبداً فقال

النبي A : [فأجزه لي] قال : ما أنا بمجيز ذلك لك قال [بلى فافعل] قال : ما أنا بفاعل قال مكرز : بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في □□ D قال عمر B ه : فأتيت نبي □□ A فقلت أأنت نبي □□ حقا ؟ قال A : [بلى] قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال A [بلى] قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال A : [إني رسول □□ ولست أعصيه وهو ناصري] قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال A : [بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟] قلت : لا قال A : فإنك آتية ومطوف به قال : فأتيت أبا بكر فقلت أبا بكر أليس هذا نبي □□ حقا ؟ قال : بلى قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل إنه رسول □□ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوا□□ إنه على الحق قلت : أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال بلى أفأخبرك أنك تأتية العام ؟ قلت : لا قال : فإنك تأتية وتطوف به .

قال الزهري قال عمر B ه : فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول □□ A لأصحابه : [قوموا فانحروا ثم احلقوا] قال : فوا□□ ما قام منهم رجل حتى قال A ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل A على أم سلمة B ها فذكر لها ما لقي من الناس قالت له أم سلمة B ها : يا نبي □□ أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج رسول □□ A فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل □□ D : { يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فحتى بلغ { بعصم الكوافر } فطلق عمر B يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي A إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين : وا□□ إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال : أجل وا□□ إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول □□ A حين رآه [لقد رأى هذا ذعرا] فلما انتهى إلى النبي A قال : قتل وا□□ صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال : يا رسول □□ قد وا□□ أوفى □□ ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني □□ تعالى منهم فقال النبي A : [ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد] . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتفلت منهم أبو جندل بن

سهيل فلقح بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت
منهم عصاة فوا ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا
أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي A تناشده ا والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو
آمن فأرسل النبي A إليهم وأنزل ا D : } وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن
مكة { - حتى بلغ - { حمية الجاهلية } وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه رسول ا ولم
يقرؤا بسم ا الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت هكذا ساقه البخاري وهنا وقد
أخرجه في التفسير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة
كلاهما عن الزهري به ووقع في بعض الأماكن عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور عن رجال من
أصحاب النبي A بذلك وهذا أشبه وا أعلم ولم يسقه أبسط من هنا وبينه وبين سياق ابن
إسحاق تباين في مواضع وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ما هنا ولذلك سقنا تلك الرواية
وهذه وا المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا با العزيز الحكيم .

وقال البخاري في التفسير : حدثنا أحمد بن إسحاق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز
بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال : أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل : ألم
تر إلى الذين يدعون إلى كتاب ا فقال علي بن أبي طالب B : نعم فقال سهل بن حنيف :
اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي A والمشركين
ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر B فقال : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلنا
في الجنة وقتلهم في النار ؟ فقال : بلى قال : ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما
يحكم ا بيننا ؟ فقال A : [يا ابن الخطاب إني رسول ا ولن يضيعني ا أبدا] فرجع
متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر B فقال : يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل
؟ فقال : يا ابن الخطاب إنه رسول ا ولن يضيعه ا أبدا فنزلت سورة الفتح وقد رواه
البخاري أيضا في مواضع آخر ومسلم والنسائي من طرق آخر عن أبي وائل سفيان بن سلمة عن
سهل بن حنيف به وفي بعض ألفاظه : يا أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل
ولو أقدر على أن أرد على رسول ا A أمره لرددته وفي رواية : فنزلت سورة الفتح فدعا
رسول ا A عمر بن الخطاب B فقرأها عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس B قال : إن قريشا صالحوا
النبي A وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبي A لعلي B : [اكتب بسم ا الرحمن الرحيم]
فقال سهيل : لا ندري ما بسم ا الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال A : [
اكتب من محمد رسول ا] قال : لو نعلم أنك رسول ا لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك
فقال النبي A : [اكتب من محمد بن عبد ا] واشتروا على النبي A أن من جاء منكم لا
نرده عليكم ومن جاءكم منا رددموه علينا فقال : يا رسول ا أنكتب هذا ؟ قال A : [نعم

إنه من ذهب منا إليهم فأبعده [أ] رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .
وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك عن عبد
[أ] بن عباس Bهما قال : لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم إن رسول [أ] A يوم الحديبية
صالح المشركين فقال لعلي Bه : [اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول [أ]] قالوا لو
نعلم أنك رسول [أ] ما قاتلناك فقال رسول [أ] A : [امح يا علي اللهم إنك تعلم أنني رسولك
امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد [أ]] وا [لرسول [أ] خير من علي وقد محا
نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة أخرجت من هذه ؟ قالوا نعم ورواه أبو داود من
حديث عكرمة بن عمار اليمامي بنحوه وروى الإمام أحمد عن يحيى بن آدم عن زهير بن حرب عن
محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس Bهما قال : نحر رسول [أ] A
يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها